الأستاذة هدى فحص

الشباب اللبناني والمستقبل المظلم ؟؟!!!

الشباب هم صدى كل إنجاز كبير في الوطن... هم نور الوطن الذي يبزغ من عيونهم، لا بل زهرة الأمل الفوّاحة... هم قوس الرحمن في الأفق... والثروة والثورة التي تعانق الحرية و تلامس أطراف السماء...

بعد كل الكوارث التي استحكمت بلبنان في عصر 4 آب(2020)، بدأنا نلمس بأن الشباب بات الشهيد الحي في وطنه... وراح يعيش المخاض المضني، وكأن الشعب اللبناني لم يكتف بما حلّ به من كوارث لتكون ختامها كارثة الكوارث (إنفجار المرفأ)، و لتكون سبباً جديداً في إنهيار طموحاته وأهدافه... بل أعادت لبنان الى طور التكوين... وقضت على ما تبقى من آمال وطموحات الشباب التي دُفِنت قبل أن تتبلور...

وبالتالي هذا ما أدى الى تمزّق الهوايات وقتلها عمداً داخل وطن متعدد العقائد و الطوائف... ألم يؤدي ما حلّ بلبنان من كوارث الى تمزّق الهوية، بل والى قتلها تدريجياً لدى فئة الشباب تحديداً ؟!

الى أي مدى بات اللبناني متمسكاً بهويته، وانتمائه؟؟ هل الكوارث التي حلّت بوطنه أحدثت تصدّعاً كبيراً في هويته... باعتقادي نعم... لأن الهوية ليست مجرد أوراق ثبوتية... هي عقيدة و نهج وفكر، هي ذخيرة من مكنونات وطن(نمط حياة، سلوك، عمل، عائلة ...)، كل ذلك يساهم في تشكيل هوية الفرد وتبلورها... فالهوية تولد منذ ولادتنا، ولكنها لا تنتهي أبداً، وكم من عباقرة ومخترعين ماتوا ولكن هويتهم وبصماتهم بقيت خالدة، وستبقى خالدة في الزمان... فالهوية لا تموت... الهوية هي وطن ومجتمع وكيان ، تتعزز بالاقتصاد المزدهر وتأمين الإستشفاء والأمن الصحي للمواطن، لا بل هي سلوك شعب يرتبط بأرضه ووطنه... وكل هذه المقومات وصلت الى الهاوية في وطني...

لقد لاحظنا في الأسرة الواحدة و بعد كل هذا التصدّع للمجتمع، تعدد العقائد و الإنتماءات داخل الأسرة الواحدة، فكيف هو الحال داخل وطن متعدد الطوائف و الإيديولوجيات...

وتجدر الإشارة بأن الرابطة الاجتماعية شديدة الإرتباط بالواقع، والبيئة التي يجب أن تعزّز وتطوّر أحوال الشباب ولا سيما من ناحية تأمين حياتهم المعيشية وجهوزيتهم للزواج... ولبنان كغيره من الأقطار العربية لديه العادات والتقاليد ذاتها، ولاسيما من ناحية الزواج، حيث تقع المسؤولية الكبرى في تأسيس بيت الزوجية على الشباب (الذكور)، بالرغم مما نشاهده اليوم من التعاون بين الذكور والإناث في تكوين الأسرة.

إن ما نلاحظه اليوم وبسبب الأوضاع الاقتصادية والسياسية التي شهدها لبنان خلال مرحلة السابع عشر من تشرين الأول 2020، والأوضاع الصحية بسبب الوباء الذي ما إنفكّ عابراً للقارات والمدن والأشخاص، إذ كان عنصر الشباب أكثر عرضة للأخطار ولا سيما في هذه الظروف الصعبة... نعم لقد كانت الكارثة معنوية أولاً، واقتصادية واجتماعية وكذلك صحية و ثقافية، وكلنا يعلم أنه حين يُخذل الشباب داخل أوطانهم يكونون أكثر عرضة للتخلي عن الإنتماء والهوية...

وتجدر الإشارة الى أن كل عائلة تشكل السند الذي يمهّد للشاب حياته المستقبلية، وهنا تختلط طرق مساعدة الأهل لتأمين الظروف المناسبة لهم... فقد كان الشاب يرث قطعة أرض من أهله ليبني عليها مسكناً يستقر فيه، او كان يرث منزلاً مشيداً، والبعض يدّخر مبلغاً من المال من جراء العمل أو الإغتراب في الوطن العربي أو الدول الاوروبية والاميركية، يستغله لتأمين الاستقرار.

ولا شك بأن وباء كورونا قد أحدث هزّة عالمية على مختلف الصعد، فعقارات الأراضي لم تعد تجد من يشتريها بسبب الغلاء الفاحش، والشباب فقدوا أموالهم في المصارف غير الموثوق بها وباتوا عرضة للإنهيارات...

ويبقى السؤال ماذا سيحل بالشاب اللبناني بعد تعرضه لكل هذه النكسات؟؟؟ هل بات الشاب اللبناني آيلاً للضياع و الإنهيار؟؟؟ هل هُزم فعلاً أمام هذه الإنهيارات التي تعرّض لها؟؟؟

باعتقادي نعم...

فأسباب تأزمه تنقسم الى نوعين: سقوط ممنهج من جهة، وسقوط تلقائي عشوائي من جهة ثانية... وأقصد بالممنهج حيث ضاعت كل مدخراته في البنوك، وحيث فتك الفساد والفاسدين في الشعب كما يفتك الجراد... وبعد تجرد جيل الشباب من كل مكونات الإستمرارية والنهوض في الحياة يعترينا ذعرٌ جارف وكبير تجاه مجتمعنا بأكمله، وخاصة تجاه هؤلاء الشباب الهائمين في وطن أصبح كالسجن الكبير... لقد فقد الشاب أبسط حقوقه التي هي الوظيفة التي تمكنه من تأمين احتياجاته الخاصة... عاداك عن الذي يعيل أسرته أو يخطط لزواج قريب...

إن البطالة والفساد المتفشي والوباء جعلوه يشعر بأن عمره ذهب هدراً ودون جدوى، فالزمن غدر به دون أن يرّق له جفن... كانت آماله معلّقة بين الأرض و السماء في أوركسترا الثورة وذلك بأن تعيد رشد وطنه وتجعله يقف في وجه الصعاب، لكنها سرعان ما انجرفت بسيول التدخلات السياسية الداخلية و الخارجية التي جعلتها عرضة لأن تكون ثورة على الثورة... ناهيك عن ذلك الفراغ السياسي الذي غمر الوطن لبرهة من الوقت، الى أن تتشكل الحكومة الآتية، آملين أن تعمل جاهدة لإحياء الوطن من جديد، ريثما يستطيع الأرز الشموخ مجدداً، والإمساك بالنجوم لينير بها درب كل شاب، وأن يصحو الوطن من كابوسه... فالمحبة والإنسانية والتكافل الجماعي الوطني، كان له إيجابياته المباشرة على عنصر الشباب والأسر بشكل مباشر... لكن الدور الأبرز يكمن في الدولة اللبنانية التي ما زالت خطواتها في هذا المجال خجولة وبعيدة المنال، آملين منها أن تمسك بيد الشباب و تنهض بالبلد اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً... ريثما يستطيع لبنان وشبابه الوقوف من جديد... ولا يسعنا سوى أن نتسلّح بالفعل على الواقع تحقيقاً للأمنيات المتعددة لنجاة الوطن من كل شرّ وأذى... ونجاة الشباب من الدائرة العنكبوتية التي إلتفّت حول عنقهم وتريد القضاء عليهم... ويبقى السؤال على عاتق من تقع المسؤولية الكبرى؟؟؟ والى أي مدى سيحافظ الشباب اللبناني على هويته الأصلية وإنتمائه؟؟؟!